سلسلة مقالات «أخلاقنا أهل الإسلام»

١- الاحتياط في التعامل مع النساء الأجنبيات.

٢- الحذر من الكذب، وبخاصة واسع الانتشار.

٣- ترك التلبيس على الناس.

٤- الانتفاع بوقع البلاء.

٥- تقوى الله في الاستدلال بالنصوص.

٦- الإنصاف الذي عجزنا عنه.

٧- ترك تلمُّس الزلات.

لفضيلة الشيخ:

د. عبدالله بن عبدالعزيز العنقري

غفر الله له ولوالديه ولمشايخه

في كلمةِ الموقع (٢٠١٢/ ٤/ ١٦)

وسيتم في هذا الموقع بعون الله التركيز على الآتي (...):

٣- تخصيص فقرة تتعلق بأخلاقنا أهل الإسلام تتناول في الغالب واقعاً يدور في الشبكة، حيث يلاحظ المتأمل كثرة ما في هذه المواقع من مخالفات شرعية، استفحل أمرها، بسبب الجهل بالآداب الشرعية أو إغفالها.

والمقصود بهذه الفقرة تزويد مَن رغب من رُوّاد الانترنت بالآداب الشرعية ليبثها في المواقع بعد أن أضحى نشر هذه الآداب عبر الشبكة ضرورة ملحّة، بسبب كثرة الممارسات المخالفة لأدب الشرع العظيم في غالب المواقع، كما أن لهذه الفقرة هدفا آخر هو أن يتفطن الواقع في المخالفة لما يجنيه على نفسه من الآثام بسبب سرعة انتشار ما يبث في هذه الشبكة من الباطل.

وسأزود إن شاء الله هذه الفقرة بما أستحضره من نصوص، وآثار عن السلف، يهمني جدًّا أن تنتشر في الأمة أكثر من انتشار كلامي حولها لأن ما في هذه النصوص والآثار دواء لأدواء كثيرة في الأمة، ولاسيما مع جهل كثيرين بها

٢/٥/٢٠١٢

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الاحتياط في التعامل مع النساء الأجنبيات:

روى ابن أبي شيبة ٧/ ١١٦ (٣٤٦٢٢) عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: (قدمتُ على أبي عبيدة بن الجراح فأنزلني في ناحية بيته، وامرأته في ناحية، وبيننا سِتر). **فوائد من الأثر:**

١- **وجود الفاصل الحقيقي بين الرجال والنساء زمن السلف،** بخلاف ما يزعمه من أجاز الاختلاط، بل أنكر إطلاق كلمة الاختلاط وادعى أنها مُحدثة، وقد أوجزت الرد عليهم في كتاب (صيانة المرأة عن الا متهان) ونقلت أن وضع الحاجز بين الرجال والنساء وقع بمحضر من النبي صلى الله عليه وسلم لما شهد وفاة أبي سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وبينه وبين النساء ستر مستور، والكتاب موجود في هذا الموقع لمن أراد مطالعته.

٢- **أن صلاح الضيف وتدينه لا يعني ترك هذا الاحتياط،** فأنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من خيار الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، ومع ذلك لم يغفل أبو عبيدة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هذا الجانب العظيم من الاحتياط، ولم يعني ذلك أي قدح في أنس أو زوجة أبي عبيدة، كما يتوهمه من يظنون أن هذا الاحتياط يدل على سوء الظن وعدم الثقة بالناس إذا طُلبوا بالتزام أدب الشرع الحكيم في جعل فاصل بين الرجال والنساء.

٣- **الاعتناء بالضيف،** وإنزاله في البيت كما هو دأب السلف الصالح وعموم المسلمين إلى أزمنة قريبة. قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه).

١١/٥/٢٠١٢

بسم الله الرحمن الرحيم

الحذر من الكذب، وبخاصة واسع الانتشار

صِدْقُ الحديث خلق عظيم من أخلاق أهل الإسلام، غير أن التفريط فيه غلب اليوم على كثير من الناس، حتى صار الكذب خصلة ملازمة لبعضهم، لا تكاد تطمئن إلى خبر ينبئك به.

والكذب مع قبحه إلا أنه أنواع، بعضها أشد من بعض، وقد جاء الوعيد على نوع من الكذب بعذاب يستديم بصاحبه في قبره إلى يوم القيامة، أحببت أن أنبه عليه مرتادي الإنترنت على وجه الخصوص

وهذا النوع من الكذب هو الذي يشتد انتشاره في الناس فأصحابه مُتوَعَّدون بوعيد هائل رواه البخاري (١٣٨٦) في حديث الرؤيا الطويل الذي رأى فيه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أحوال عدد من العصاه، وهم يعذبون، وفيه أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: فَإِذَا رَجُلٌ جَالِسٌ وَرَجُلٌ قَائِمٌ، بِيَدِهِ كَلُّوبٌ مِنْ حَدِيدٍ يُدْخِلُهُ فِي شِدْقِهِ حَتَّى يَبْلُغَ قَفَاهُ ثُمَّ يَفْعَلُ بِشِدْقِهِ الآخَرِ مِثْلَ ذَلِكَ، وَيَلْتَئِمُ شِدْقُهُ هَذَا فَيَعُودُ فَيَصنَعُ مثله .

ثم أخبره الملكان أن هذا المعذَّب كَذَّابٌ يُحَدِّثُ بِالْكَذْبَةِ فَتُحْمَلُ عَنْهُ حَتَّى تَبْلُغَ الآفَاقَ فَيُصْنَعَ بِهِ ما رأيت إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَة . والمراد بالشدق: جانب الفم. [انظر: النهاية ٢/ ٤٥٣].

واذا تأملت واقع الناس اليوم وجدت الكذبة التي تطلق في (الإنترنت) و (وسائل الإعلام) من أوضح ما يمكن أن يُمثَّل به على هذا النوع من الكذب.

وذلك لسرعة انتشار الكذبة التي تسري عبر هذه الوسائط، ثم ما تلبث أن تبلغ الآفاق في دقائق معدودة.

وهنا أذكِّر كل مسلم يستعمل هذه الوسائط إلى الحذر الشديد من أن يكون واحداً من هؤلاء الذين ينتظرهم هذا الوعيد الهائل في قبورهم، بمجرد أن يفارقوا هذه الدنيا التي غرّت أناسًا، فأساؤوا

التعامل مع هذه الوسائل ـ التي بدلاً من أن ينشروا من خلالها دين الله وما ينفع الناس ـ قلبوها إلى ساحات واسعة لاكتساب الآثام وحمل الأوزار.

وتبلغ غربة الدين حدّاً عظيماً حين يتأسى المسلم بأهل الكفر حتى في الكذب ويقتدي بهم فيه، فإذا دخل شهر (إبريل) استحل عدد من أبناء الأمة إطلاق كذبة شديدة الوقع، عظيمة الانتشار، ومالهم عليها من دليل إلا أن أهل الكفر يكذبون في (إبريل) فواعجباً من قبيح الفعل، وواعجباً من الدليل عليه! ووا أسفاً على مسلم يبلغ به ذوَبان الشخصية في أعداء الله أن يترك خلق الإسلام العظيم، وهو (الصدق) ويرتضي مسلك أهل الكفر في (الكذب) الإبريلي، وكأنه يحيي سنة لا يريد أن تفوته بدخول هذا الشهر.

ولله در الإمام الزهري فإن الخليفة الأموي هشام بن عبدالملك حين كذّبه في تعيين المراد بقول الله ﴿ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيم﴾ [النور ١١] أجابه الزهري فوراً: أنا أكذب لا أبا لَكَ ؟ فوالله لو نادى منادٍ من السماء إن الله أحل الكذب ما كذبت. (سير أعلام النبلاء ٥/ ٢٣٩).

فليتق الله كلُّ مستخدم لهذه الوسائل، وليعلم أن الرقيب من البشر إذا غاب أو غفل فإن رب العالمين لا يغفل، قال تعالى ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة ٧٤].

١٢/٦/٢٠١٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

ترك التلبيس على الناس.

روى ابن سعد [١] أن عمر رأى على طلحة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ثوبين مصبوغين بمِشْق [٢] وهو مُحْرِم، فقال: ما بال هذين الثوبين يا طلح ؟ فقال: يا أمير المؤمنين إنما صبغناه بمَدَر [٣] فقال عمر " إنكم أيها الرهط أئمة يقتدي بكم الناس، ولو أن جاهلا رأى عليك ثوبيك هذين لقال: قد كان طلحة يلبس الثياب المصبَّغة وهو مُحْرِم " وفي لفظ " فلا تُلَبِّسوا على الناس" .

طلحة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بلبسه ثوبـًا صبغه بمَدَر وهو الطِّين لم ير أنه خالف بلباسه هذا ما ورد من النهي عن لبس الأحمر من الثياب، لكن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ نبهه إلى أن الجاهل قد لا يتفطن إلى أن ثوبه قد صبغ بالمدر، بل سيقول: إن طلحة كان يلبس الثياب المصبغة، وهو مُحْرِم، لجهله بما صبغ به طلحة ثوبه

نُبِّه طلحة بهذا الكلام الحكيم إلى أنه إمام يُقتدَى به، وذلك يستوجب منه أن يلاحظ ما ينجم عن تصرفاته من أمور قد يُساء فهمها وينقل عنه بسبب ذلك ما لم يَدُر بخُلده أنه سيُنسَب إليه.

وذلك أن الناس إنما يتعاملون فيما بينهم بحسب ما يظهر لهم.

---

(١) ٣/ ٢١٩، ٢٢٠.

(٢) المشق بالكسر المَغَرة، وهي المدر الأحمر الذي تُصبَغ به الثياب، انظر النهاية (٤/ ٣٣٤، ٣٤٥).

(٣) المدر هو الطِّين، كما في النهاية (٤/ ٣٠٩).

ولذا أتبع عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ كلامه السابق بقوله: " فلا تُلَبِّسوا على الناس " فالأمر المُوهم للباطل لا ينبغي أن يظهر به مَن هم محلُ القدوة والأسوة ـ ولو كان لهم به قصد سليم ـ.

ألا ما أحوج بعض الدعاة إلى الله إلى تأمل هذه الكلمات العظيمة من هذا الإمام المُحدَّث، ليكفُّوا عما فيه إرباك للناس من أقول وتصرفات تظهر منهم، ثم بعد أن يكثر القيل والقال من آثار تلك الممارسات يخرج هذا الداعي ليقول: أنا أقصد كذا وكذا!

فهلاَّ كفَّ عما فيه إرباك للناس ولزم الجادة البينة، وأرشد الناس بالأسلوب الواضح الجلي؟

إن كون الرجل محل قدوة بسبب ما مَنَّ الله به عليه من العلم يستوجب منه سَمْتًا وهَدْيًا يراعي فيه مآلات الأمور وعواقبها، حتى لقد قال الأوزاعي " كنا نضحك ونمزح، فلما صرنا يُقتدَى بنا خشيت أن لا يسعنا التبسُّم "[1].

فإذا لم نصل إلى هذا الحد الجليل من السَّمْت فلا أقل من أن نلاحظ ما قاله عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ" لا تلبِّسوا على الناس" .

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي (٧/ ١٣٢).

١٣/٧/٢٠١٢

بسم الله الرحمن الرحيم

الانتفاع بوقع البلاء

روى أبو نعيم [١] و البيهقي [٢] ـ واللفظ لأبي نعيم ـ أن سلمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: " إن الله تعالى يبتلي عبده المؤمن بالبلاء ثم يعافيه، فيكون كفارة لما مضى، فيستعتب [٣] ـ فيما بقي، وإن الله عز اسمه يبتلي عبده الفاجر بالبلاء ثم يعافيه، فيكون كالبعير، عَقَله أهله ثم أطلقوه، فلا يدري فيمَ عقلوه حين عقلوه، ولا فيمَ أطلقوه حين أطلقوه"

كم هو كبيرٌ هذا الفرقُ بين المؤمن والفاجر عند وقوع البلاء! فالمؤمن إذا ابتلي رجع عن إساءته، و علم أن ما حل به كان بسبب كسب يده كما قال ربه تعالى ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَة فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِير﴾ [الشورى ٣٠].

وهنا يعود المؤمن على نفسه بالتهمة والمعاتبة، فيغير أوضاعـًا خاطئة في حياته: تفريطا في واجبات أو ركوبا لمحرمات، فيكون هذا البلاء الذي أصابه من أعظم المِنَح والنعم التي نزلت به، فقد كفر الله به من سيئاته، وأيقظه به من غفلاته، وبذلك صار البلاء لذوي البصيرة سببا في حياة القلوب،

---

(١) ١ / ٢٠٦.

(٢) شعب الإيمان (٩٩١٤).

(٣) أي يرجع عن الإساءة ويطلب الرضا، كما في النهاية لابن الأثير ٣/ ١٧٥.

وصلاح الأحوال، كما قال ابن سعدي في تفسير آيه سورة الروم [1]: " فسبحان من أنعم ببلائه وتفضل بعقوبته " [2].

أما الفاجر فكالدابة البهيم لا ينتفع إن أصابته نعماء فيشكر، ولا يتفكر إن وقع به بلاء فينزجر.

بل إن هلك ببلائه هلك كما يهلك العَيْر، وإن عوفي انطلق هائما، كبعير ربطه أهله فبقي في رباطه، لا يدري ما الذي حملهم على أن يربطوه، ثم إذا أطلقوه انطلق على وجهه وعاد إلى سابق عهده، وهو لا يدري، أيضا لم أطلقوه ؟ حتى يوافي الفاجر أجله وهو على الحال التي ذكر الله: ﴿ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا﴾ [الكهف ٢٨].

فسبحان من فاوت بين أهل الإيمان وأهل الفجور في دنياهم وأخراهم، فالأولون في دنياهم لقلوبهم من النعيم ما لا يخطر للفجار على بال، إلى أن يتصل نعيم أهل الإيمان الدنيوي بنعيمهم الأبدي ﴿فِي مَقۡعَدِ صِدۡقٍ عِندَ مَلِيكٖ مُّقۡتَدِرِۭ﴾ [القمر ٥٥].

وأما أهل الفجور فهم في غيهم سادرون، وفي لجج الظلمات يعمهون، ولذا لا يجدون في دنياهم ما يعزِّيهم إن وقع بهم ما يكرهون، بل يتنغَّص عليهم عيشهم ويدخلون في العذاب الدنيوي الذي أعده الله لهم: ﴿فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا ﴾ [طه ١٢٤] إلى أن يتصل ضنكهم الدنيوي بضنكهم البرزخي، وصولا إلى عذابهم السرمدي في القيامة ﴿وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ [طه ١٢٤].

اللهم اجعلنا ممن إذا ابتلي صبر، وإذا رُزق شكر، وإذا أذنب استغفر، وأحي قلوبنا لتدبر ما أنزلت من الآيات وما نصبت من العبر الموقظان، ولا تهلكنا هلكة الغافلين الاهين.

---

(١) وهي الآية الحادية والأربعون: ﴿ظَهَرَ ٱلۡفَسَادُ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ بِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعۡضَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ﴾.

(٢) تيسير الكريم الرحمن ص٥٩٢.

١٦/٨/٢٠١٢

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تقوى الله في الاستدلال بالنصوص

عن جبير بن نفير أنه قال: " كنت في حلقة فيها أصحاب الرسول صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ وإني لأصغر القوم، فتذاكروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فقلت أنا: أليس الله يقول في كتابه ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ﴾ [المائدة ١٠٥]؟

فأقبلوا علي بلسان واحد، وقالوا: تنزع بآية من القرآن لا تعرفها ولا تدري ما تأويلها! حتى تمنيت أني لم أتكلم، ثم أقبلوا يتحدثون، فلما حضر قيامهم قالوا: إنك غلام حدث السن، وإنك نزعت بآية لا تدري ماهي، وعسى أن تدرك ذلك الزمان، إذا رأيت شحًّا مطاعاً وهوى متَّبعًا وإعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك بنفسك، لا يضرك من ضل إذا اهتديت " (١).

هذا الإنكار المشترك من هؤلاء الصحب الكرام رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمۡ على جبير رَحِمَهُٱللَّهُ ظلَّ سببه يتكرر على مدى السنين، وهو في أزمنتنا هذه من أكثر ما يكون انتشارًا، حيث يعمد بعضهم للاستدلال بآية لا يدري ما معناها ولا سبب نزولها، ثم يُنزلها بفهمه القاصر على حدث أو واقعة معينة، مع أن الآية لا تعلق بها لا من قريب ولا من بعيد، بل ربما كانت الآية تتحدث عن الكفار فينزلها المستدل بها على المسلمين.

وسبب هذا الصنيع السيء هو الجهل الذي نبه إليه هؤلاء الصحب رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمۡ، حيث يظن الظان أن انتزاع آية من كتاب الله للاستدلال بها هو بحسب ما يعن في الخاطر، ويطرأ في الذهن، جاهلاً أن الواجب أن يتأكد أن الآية دالة على الموضوع الذي استدل عليه.

---

(١) رواه الطبري ٧/ ٦٢

والجهالات في هذا عجيبة، فأحد من لم يشم رائحة العلم الشرعي ـ وإن حمل شهادة عليا من البلاد الغربية ـ يستدل بقول الله تعالى ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف ٢٩] على أن الواجب أن نترك الناس وما اختاروا من كفر وإلحاد، لأن الله جعل لهم الحرية الكاملة في ذلك، من أراد الكفر فليكفر، ولا شأن لنا به! ويدعي أن هذا معنى الآية، وليت شعري لو قيل له: إن الله يقول ﴿ ٱعْمَلُواْ مَا شِئْتُمْ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [فصلت ٤٠] فمن أراد قتلك وسرقة مالك وقطع الطريق عليك فله كامل الحرية، لأن الله يقول ﴿ ٱعْمَلُواْ مَا شِئْتُمْ ﴾ فبأي شيء سيجيب هذا الذي أقحم نفسه فيما لا يدري من معاني النصوص العظيمة؟ فإن الأمر فيها يراد به التهديد والوعيد، كما هو معلوم في موضعه من كتب التفسير وكما فصله الإمام محمد بن نصر في كتاب تعظيم قدر الصلاة[1] حيث أوضح أن الأمر من الله ورسوله على وجوه كثيرة، ذكرها وذكر شواهدها في النصوص، وفيها قوله تعالى: ﴿ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ الذي استدل بها الجاهل على حرية المرء في اختيار الكفر.

وهكذا استدلال بعض العوام بقول الله ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون ٦] على ترك الإنكار على المجاهر بمعصيته من المسلمين، مع أن الآية في سورة اسمها (سورة الكافرون) وأول آية فيها: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [الكافرون ١] فالخطاب فيها مع الكفار لا مع المسلمين ؛ لذا قال ابن كثير: " هذه السورة سورة البراءة من العمل الذي يعمله المشركون.... فقوله ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ يشمل كل كافر على وجه الأرض " ثم نقل قول البخاري في قول الله: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ﴾ الكفر ﴿ وَلِيَ دِينِ﴾ الإسلام[2] فأي علاقة للمسلم بمثل هذه الآية ؟

---

(١) ٢/ ٥٥٦ـ٥٦٧.

(٢) تفسير القرآن العظيم ٤/ ٥٦٠ .

ومن المزالق العظيمة التي وقع فيها الخوارج هذه الطريقة الخاطئة في الاستدلال، حيث حملوا الآيات الواردة في الكفار على المسلمين، كما قال ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في الخوارج: " إنهم انطلقوا إلى آيات نزلت في الكفار فجعلوها على المؤمنين"[1].

فمن أراد الاستدلال بنص فليتأكد من دلالته على ما استدل عليه، فإن لم يجد سلف الأمة وعلماءها فهموا من النص ما فهمه هو فليعد على نفسه بالتخطئة، وليتذكر قول عمر بن عبدالعزيز منبها هذا المستدل بما لم يستدل به السلف " فلئن قلتم قد قال الله تعالى في كتابه كذا وكذا، ولِمَ أنزل الله آية كذا وكذا ؟ لقد قرؤوا منه ما قد قرأتم، وعلموا من تأويله ما جهلتم " [2].

وصدق رحمه الله، لقد قرأ السلف هذا القرآن العظيم كما قرأناه، وعلموا من معناه ما قد جهله أقوام استدلوا به على غير ما أراد به الله.

فلنتق الله ولنتأكد عند الاستدلال بالنص من صحة هذا الاستدلال.

❁ ❁ ❁

---

(١) علقه البخاري في باب قتل الخوارج قبل حديث (٦٩٣٠) وذكر ابن حجر في الفتح ١٢/ ٣٥٧ أن الطبري وصله في تهذيب الآثار بسند صحيح.

(٢) رواه الآجري (٥٢٩) وغيره.

٤/٩/٢٠١٢

بسم الله الرحمن الرحيم

الإنصاف الذي عجزنا عنه

لما سأل رجل الإمام أحمد: نكتب عن محمد بن منصور الطوسي؟ قال: إذا لم تكتب عن محمد بن منصور فعمَّنْ ؟ يقول ذلك مراراً، فقال الرجل: إنه يتكلم فيك، فقال أحمد: رجل صالح ابتلي فينا، فماذا نعمل؟ (١).

سبحان الله! ما أعجب السلف وعلماء السنة في تقواهم لربهم وإنصافهم لغيرهم!

فالإمام أحمد يُنقل له أن الطوسي يتكلم فيه، فلم يحمله ذلك على أن يحذر الناس منه، إنصافا للرجل، وأمانة في نصح المتعلم الذي استشاره في الاستفادة من واحد من حملة العلم، لا مطعن فيه من حيث صلاحه وعلمه.

فأما موقفه الشخصي من الإمام فذلك ابتلاء ابتلي به الرجل، رغم فضله ونُبله.

ويبقى العجب العجاب في جواب أحمد: ((فماذا نعمل)) ؟

إي والله، ما تعمل إذا وقع فيك رجل فاضل ملازم للسنة؟ أتحذر الناس منه، كما تحذرهم من أهل الباطل؟ فتجعل نفسك هي ضابط الولاء والبراء، وكأنك رسول أو صحابي لا يتعرض لهما إلا أهل الزيغ والضلال.

إن تقوى الرب والإنصاف من النفس لتجعل المرء الشديد الشجاع في بعض الأحيان كالجبان، وذلك إذا ما ابتلي بأخ له على السنة يذمه وينفر منه، فلا يتمكن المُنصِف أن يبادله المذمة بمثلها –

---

(١) طبقات الحنابلة ٢/ ٤٥.

مع سهولة ذلك عليه- لعلمه بأنه لايحل له أن يقع فيما وقع فيه أخوه، وهذا الموقف _ولا بد_عسير على النفس شديد الوقع عليها.

وأشدّ من هذا وأعسر أن يمنع المُنصِف جلساءه من مسبة مَنْ وقع بينه وبينه خصام، فيكون هو أول الذابين عن عرض خصمه حين غاب، كما وقع لسعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فقد كان بينه وبين خالد بن الوليد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كلامٌ فذهب رجل يقع في خالد عند سعد، فما كان منه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلا أن زجره قائلا " مَهْ، إن مابيننا لم يبلغ دِينًا ".(١)

الله أكبر! من يقدر على هذا السمو في الأخلاق إلا ورثة الأنبياء صلى الله عليهم وسلم؟

لقد ذَبَّ سعد عن عرض خالد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، ليبين للرجل أن وقوع الخصمة بينه وبين أخيه خالد لايعني أنه سيأذن لأحد بالوقوع فيه وذمِّه، حتى وإن اختصما وأغضب كل واحد منهما صاحبه.

وذلك أن ثمة فرقا عظيما بين خصمة دينية يكون الحامل عليها تحذير الأمة من عدو لدين الله، وبين خصمة شخصية بين أخوين كلاهما على السنة، فوقع بينهما موقف لم يوفق فيه أحدهما إلى الصواب، فذلك وإن أوجد بينهما الخصام وارتفاع الأصوات فلا يحل أن يحمل أحدهما على هضم حق أخيه، فإن استَحْمَق أحدهما وفعل ذلك فلا يحل للآخر أن يصنع صنيعه.

ألا ليتنا اليوم نحذو حذو سلفنا فنطرح جانبا حظوظ النفوس وخبيئات المقاصد، حيث جعل بعضهم التحذير من إخوان لهم في الاعتقاد كالتحذير من خصوم السنة وأعدائها، لمجرد أن وقع بينهم ما وقع من نزاعات شخصية، أو خلاف في أمر يسوغ الخلاف في مثله عند سلف الأمة، ولا يستوجب وحشة القلوب، فضلا عن التصدي لتحذير الناس من أخي العقيدة والمنهج.

---

(١) رواه أبو نعيم ١/ ٩٤-٩٥.

إن ماذكِر من ورع المنصف عن مبادلة المَذمَّة بمثلها لا يعني إغفال قول الله تعالى ﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ﴾ [النساء ١٤٨] لأن المراد بالآية كما قال عبدالكريم الجزري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "هو الرجل يشتمك فتشتمه، ولكن إن افترى عليك فلا تفتر عليه".(١)

فردُّ المسبة بمثلها مباح، فأما الافتراء فمحرّم مطلقا، ولذا لا يُردّ بمثله، فإن الافتراء قد يبلغ بالمرء أن يرمي أخاه المؤمن بالكفر، فليس لمن كُفر أن يرد الصاع بمثله فيُكفر من كفره.

ولهذا فإن الإمام ابن تيمية لما نَقل قول بعضهم: لانكفر إلا من يكفرنا! أبطل هذا بقوله: "الكفر ليس حقا لهم، بل هو حق لله، وليس للإنسان أن يكذب على من يكذب عليه..."(٢)

فالمؤمن قد يُكفر فلا يقدر أن يُكفر، وقد يُكذب عليه فيأبى أن يَكذب على من كَذبَ عليه، لا لجبنه، بل لورعه وإنصافه.

فنسأل الله الذي أكرمنا بأن جعل سلفنا خير سلف أن يسلك بنا على هديهم ويُمسِّكنا بمنهجهم، إذ كانوا كما ذكر ربهم عن صالحي عباده : ﴿لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان ٧٤] وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

---

(١) تفسير القرآن العظيم ١/ ٥٧١.

(٢) منهاج السنة ٥/ ٢٤٤.

٣/٢/٢٠١٣

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

ترك تلمُّس الزلات

عن حسان بن عطية قال: "كان شداد ابن أوس في سفر فنزل منزلاً فقال لغلامه: ائتنا بالشفرة نعبث بها فأنكرتُ عليه فقال: ما تكلمت بكلمة منذ أسلمت إلا وأنا أخطمها وأزمُّها إلا كلمتي هذي فلا تحفظوها علي، واحفظوا مني ما أقول لكم: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: إذا كنز الناس الذهب والفضة فاكنزوا هؤلاء الكلمات: اللهم إني أسألك الثبات في الأمر..."الحديث [1].

تأمل وفقك الله كيف نبه شداد ابن أوس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من سمعوا كلمته التي زل بها لسانه إلى أن لا يحفظوها عليه، لأنها بدرت منه دون أن يخطمها ويضبطها كعادته.

وزلة في لفظ لم يضبطه المؤمن، أو تصرف غير موفق حمله عليه غضب أو مزاح أو غفلة عن مآلات فعله، هذا مما لا يسلم منه أحد، فإن العصمة للرسل عليهم الصلاة والسلام فيما يبلغون عن الله تعالى، ولهذا قال هذا الصحابي الجليل: "فلا تحفظوها علي".

والفرق كبير بين تلمس الزلة من أخ على أخيه وبين الرد على الباطل وأهله، فهنا الرد مما يتقرب به المؤمن إلى ربه محتسبًا الأجر عند الله، وسواء أكان الرد على أهل الباطل من الفرق الضالة أو كان على مروّجي المذاهب المعاصرة الحديثة وأفكارها العفنة التي مبناها على الكفر والإلحاد، أو كان الرد على ذوي الشذوذ في فتاواهم المخالفة للنصوص، ممن يحدوهم صرف وجوه الناس إليهم،

---

(١) رواه أحمد ٤/ ١٢٣.

ليكونوا حديث مجالسهم واستضافة وسائل إعلامهم، فزلزلوا بفتاواهم الباطلة أموراً راسخة ثابتة في الناس، لا يشك أهل العلم أنها هي الحق الذي لا مرية فيه.

فكل هؤلاء ـ وإن تفاوتت درجاتهم في السوء ـ يجتمعون في أنهم ينشرون الباطل المفسد لأمور المسلمين في اعتقادهم أو عباداتهم ومعاملاتهم.

أما الزلة التي يقع فيها مَن هو على السنة، وفي مسألة قد تخفى، إما لدقتها أو لتوهُّم المرء صحة دليل، وهو في النفس الأمر ليس بصحيح، أو نحو ذلك مما يقع له نظائر حتى عند علماء السنة المتقدمين، فهذا لا يعالج بين أهل الحق كما يعالج الباطل الذي تقدم ذكر أهله، لاختلاف منهج أولئك المبطلين عن منهج مَن هو على السنة جملة وتفصيلا.

والزلة التي تقع ممن هو على السنة من السهل بتوفيق الله أن يُنبَّه إليها ويراجع فيها، ليكون تصحيح زلته منه هو فيبدأ الخطأ منه، ثم يزول برجوعه عنه، كنار أشعلها المرء ثم أطفأها بنفسه، فهذه أحسن الطرق لحل هذا النوع من الزلات.

فإن أبى أخونا أن يرجع وادعى صحة ما ذهب إليه فإن الواجب أن لا يجامل، لأن الحق لا يجامَل فيه أحد، فيردُّ عليه في زلته، ويوضح للناس وجه الحق، حتى لا يتبعوه في غلطته، وإن كان أخًا لنا على السُّنَّة، ويظن به أنه إنما يلتمس الحق بمقولته، فذلك لا يعني ترك خطئه يشيع في الناس، ولكن ﴿قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا﴾ [الطلاق ٣] فلا ينبغي معاملة أخ كهذا معاملة أهل الباطل الذين أسسوا بنيانهم على الضلال.

وقد قال معاذ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: "اجتنب من كلام الحكيم المشتهرات وفي لفظ [المشبَّهات] التي يقال: ماهذه؟ ولا يثنينك ذلك عنه " وفي لفظ [ولا ينئينك ذلك عنه] فإنه لعله أن يراجِع[1].

وبه نعلم أن تلمس الزلة، بل الفرح بوقوعها من قبل بعض الإخوان على أخيهم، لحزازات ومنافسات بينهم ليس من الخلق النبيل.

ولعل من المعايير المعينة لنا على فحص هذا الخلق فينا أن نلاحظ أول ما تنعقد عليه قلوبنا ساعة علمنا بزلة أخينا، فإن كان القلب يسعد بوقوع الأخ في زلته فهذه علامة سيئة جدّا على نية مدخوله، وإن كان الموقف أول ورود الزلة هو الأسى على ظهور هذه الزلة في مجتمع أهل السنة، وتمني القلب أن الواقع في زلته لم يقع ابتداء، فهذه علامة على حسن القصد بعون الله.

وأحسب أن هذا الصنف من الأخيار هو من ينبغي أن يرد على ذلك الذي زل، لأنه قد قصد الرد على الزلة ابتغاء وجه الله، أما الصنف الأول فمهما بلغ رده في الحسن فإن الباعث على رده لا يخلو من قصد مدخول ساءت به نيته، فحريّ به أن يسوء به رده، والله المستعان

ومعلوم أن الحسن وابن سيرين رحمهما الله كانا من علماء الأمة المبّرزين، وكان أحدهما قد ينتقد على الآخر بعض ما يراه فيه على غير صواب، ولكن تأمل هذا الخبر.

فقد روى ثابت البناني أن الحسن كان متواريا من الحَجّاج بن يوسف، فماتت بنت للحسن فبادر ثابت إليه فأخبره، رجاء أن يأمره بالصلاة عليها، فبكى الحسن وارتفع نحيبه ثم قال: اذهب إلى ابن سيرين فقل له ليصلّ عليها، فعُرف حين جاءت الحقائق أنه لا يعدل بابن سيرين أحداً[2].

---

(١) رواه أبو داود (٤٦١١).

(٢) الحلية ٢/ ٢٦٨-٢٦٩.

فمع عتب الحسن على ابن سيرين في بعض الأمور فإن مقام ابن سيرين لم يكن بالذي يتضعضع عنده، لأنهما بكل سهولة (من أهل السنة الصافية) ثبتنا الله على هذه السنة، وهدانا لأحسن الأقوال والأعمال.